**الإرسال الثالث:**

**المحاضرة الثالثة عشرة**

**التطور التاريخي للتحضر(التمدن):**

في الغالب يكون التمدن ماديا، أي استخدام أدوات المدنية الحديثة التي نتجت عن تطور العلم والتكنولوجيا واقتصاد السوق(الصناعية).

**-التحضر:**

ظهر مفهوم التحضر في خضم التحولات التي شهدتها مجتمعات أوروبا الغربية بفعل ما أحدثته الثورة الصناعية من تغيرات في أنماط الحياة والتفكير، وما جاءت به من تنظيمات وقواعد في العمل، أدى ذلك إلى تحول الاهتمام من العمل الزراعي في الريف إلى العمل الصناعي في المدينة، ومند ذلك أصبحت المدينة مركز النشاط الصناعي ونتج عن ذلك جملة من النتاقضات والصراعات بين الأفراد والطبقات الاجتماعية المختلفة. بينما المدينة في مجتمعات العالم الثالث عرفت التحضر الفوضوي بسبب عدم مسايرة قواعد التصنيع وأنماطه، لأنه مستورد من المستعمرات القديمة لها، مما أحدث اضطرابا في الهياكل التقليدية لهذه المجتمعات، أدى إلى تداخل كبير بين الريف والمدينة.

فالتمدن هو منهج تفكير وقناعات وما ينتج عنهما من ممارسات وتصرفات، مثال: ذلك الراعي الذي لبس ألبسة جديدة، واستعمل هاتف وسيارة متطورة، وتسوق من الأسواق الفاخرة، هو في الواقع متمدن لكنه غير متحضر في ممارساته وتفكيره. والعكس صحيح عندما تجد من هو فقير الحال في أدواته ووسائل عيشه لكنه بالمقابل متحضر في قيمه وأفكاره. أي متمدن في الظاهر(المادة) ، لكنه غير متحضر في الباطن(الفكر).

**فيما يخص المدينة الجزائرية:**

تطورت المدينة الجزائرية مثل باقي المدن في بعض الدول العربية وفق نموذج التحديث الغربي، الذي يحمل نمطا ثقافيا مغايرا للبيئة العربية. وفي ضوء هذه العلاقة جاءت المدينة في صورة هياكل(بنايات) بدون روح ثقافية، وتحولت إلى سوق عشوائي، وأصبح المجتمع لا يمثل سوى حشد من الأفراد لا تربط بينهم رابطة بالمعنى السوسيولوجي. **(علي بوعناقة، 2000، ص11.)**

لقد عرفت المدينة تحولات عميقة ليس فقط في الجانب المادي الملموس، بل في مجالات عديدة، كالأذواق في الغذاء واللباس، علاوة على التجديد المستمر في أساليب الإنتاج والتوزيع، أدى ذلك إلى تغيرات فكرية وطبقية، وظهور مراكز وقوى سياسية.

**-مفهوم التحضر**: Urbanisation/ Urbanization

التحضر يأخذ عدة معان في كتب اللغة، قد يعني الإقامة في المدينة، وقد يعني التثقيف من الخارج. وقد يعني انتقال مكان الإقامة من الريف إلى المدينة والاستقرار فيها، وما يترتب عن ذلك من تغير في العادات الاجتماعية والثقافية ونمط العيش، والمهن، واللباس، والاستهلاك ...إلخ. وبذلك يصبح للتحضر عدة أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وجغرافية.

كما يطلق مفهوم التحضر على عملية النمو الحضري السريع التي يمكن مشاهدتها في مظهرها الكمي البحث.(الجانب المادي الإحصائي) بغض النظر عما كانت هذه العملية ناتجة عن النمو السكاني الطبيعي، أو عن الهجرة الداخلية/النزوح الريفي.

ومهما يحصل يعد التحضر وجها للتغير الاجتماعي، حيث يتم عن انتقال أهل الريف والبوادي للعيش في المدن، وما علينا كأنثروبولوجيين إلا أن نقرأ ما يترتب عن هذا الانتقال من تحول ثقافي واجتماعي إذا كان تحضرا حقيقيا، أم أنه يبقى مجرد تحضرا ماديا وليس قيميا. أي زيادة عدد مراكز التجمعات السكانية والعمرانية بسبب تغير في العوامل الاقتصادية والديمغرافية.

إن التحضر الحقيقي يعني انتشار القيم والسلوك والتنظيمات الحضرية في مجال جغرافي معين، وتتم بواسطة:

-زيادة عدد أماكن التجمعات السكانية.

-نمو حجم التجمعات السكانية.

لقد حاول الأنثروبولوجي كلايد ميتشل G.Mitchel التفريق بين التحضر والحضرية بقوله: مفهوم التحضر هو عملية التحول إلى حضري من خلال حركة الناس إلى المناطق الحضرية، أما الحضرية فتعني الزيادة السكانية والعمليات الاجتماعية التي تدفع إلى حراك سكاني تجاه المدن يرافقه تغير من الزراعة إلى الأعمال الأخرى التي تمارس في المدن، والتي سوف تؤدي إلى تغير في أنماط السلوك نتيجة العيش في المدن. (**شاكر مصطفى، قاموس الانثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت 1981، ص 1009.)**

**-مفهوم مستوى التحضر**: Level of Urbanization

هو عبارة عن النسبة المئوية للسكان المقيمين في المدن من إجمالي سكان الدولة عند زمن معين. حيث يستخدم الباحثون في العلوم الاجتماعية مفهوم التحضر للدلالة على نسبة سكان المدن إلى إجمالي السكان في المجتمع، فيقال حينئذ نسبة التحضر. فمثلا نسبة السكان الحضر في الجزائر بعد الاستقلال كانت في حدود 35%، بينما ارتفعت خلال عام 2008 إلى 64% من إجمالي السكان. وبهذا تكون الجزائر قد عرفت تطور في التجمعات السكانية الحضرية، ونسميه تجمعا سكانيا إذا زاد عدده عن 2000 نسمة حسب التقديرات الوطنية. وقد وصل سكان الجزائري حسب الإحصائيات الحديثة (جانفي2020) إلى حوالي 44 مليون نسمة. وبالتحديد 43,9م نسمة

نستخلص أن نسبة التحضر = عدد سكان الحضر/ إجمالي السكانx 100

مثلا: عدد سكان الجزائر حاليا هو 44 مليون

عدد سكان المدن(الحضر) حوالي 30مليون

نسبة التحضر = 30/44 x 100 = 68,18%

طبعا هذه النسبة ساهمت فيها العديد من العوامل ومن أهمها العامل الاقتصادي، والخدمات الاجتماعية(التعليم والصحة والنقل والترفيه) المتاح للسكان في المدن، مما أدى إلى النزوح الريفي نحو المدن بحثا عن حياة أفضل. هذا إضافة إلى تأثير العامل السياسي(الأمني) خلال المرحلة التي مرت بها الجزائر(العشرية السوداء في التسعينات)، حيث لم تستطع العديد من الأسر العودة إلى الأرياف مند ذلك التاريخ وخاصة عندما تأقلمت مع العيش في المناطق الحضرية.

وكان عدد سكان الجزائر قد تطور مند 1990 حسب الديوان الوطني للإحصائيات كما يلي:

|  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- |
| 1990 | 2007 | 2018 | 2020 |
| 25 مليون | 34,1 | 42,2 | 43,9 |

**-التحضر الديمغرافي:** هو عملية التزايد في نسبة السكان المقيمين في المناطق الحضرية من جملة سكان الدولة.

**-النمو الحضري**: لا يعني نمو المدن، لأنه يمكن أن تنمو المدن دون ارتفاع في درجة التحضر، ويحدث هذا النمو عندما ينمو عدد سكان الريف بمعدل مساو أو أكبر من معدل نمو سكان الحضر في فترة ما.

**-النمو الحضري الديمغرافي:** هو النمو السكاني للقطاع الحضري دون الأخذ بعين الاعتبار النمو السكاني في القطاع الريفي.

**-النمو الحضري العمراني:** هو التوسع والامتداد العمراني(العمران) للقطاعات الحضرية بصفة عامة والمدن بصفة خاصة.

ويمكن القول: إذا تساوى أو قل معدل نمو سكان الحضر عن معدل النمو الإجمالي لسكان الدولة، فإن هذه الدولة تعرف نموا حضريا بالمعنى الديمغرافي. (ويزداد النمو الحضري بازدياد المصانع وتطور العلوم ومنتجاتها والأعمال الإدارية).

أما إذا ارتفع نمو سكان الحضر عن المعدل الإجمالي لسكان الدولة، فإن الدولة تشهد ارتفاعا في معدلات تحضرها.

لكن من الزاوية الأنثروبولوجية نقول أن المدنية/ الحضرية ليست مسألة عدد(كم) أو مؤشرات إحصائية ومهنية، بل الحضرية بالمعنى الأنثروبولوجي الواسع هي الرقي الثقافي والتغير في القيم وعلاقات الناس، بما يتضمن العلم والاحترام، والديمقراطية، وتقبل الرأي الآخر والآخرين، والتعايش الحضاري والثقافي بسلام.

أحيانا يكون تأثير الحياة الحضرية على المقيمين الجدد في المدن من الريفيين النازحين، قد يطول مداه، لأن الرواسب الريفية صعبة التبدل والتغير في فترة زمنية وجيزة، بينما قد تأخذ في التناقص والاحتفاء كلما تقادمت الأجيال.

إن التحضر هو ظاهرة عالمية تعني الاتجاه المتزايد لدى سكان الريف للإقامة في المدن(يصبحون من الحضر). إن هذه الظاهرة ترتبط بظاهرة الهجرة من الريف إلى المدينة، في محاولة لاكتسابهم القيم الحضرية، أما مجرد انتقالهم للمدن لا يعني التحضر بمعناه اكتساب قيم المدينة والتخلص من قيم الريف.

أما **الحضرية Urbanism** تعني اكتساب الأفراد الريفيين قيم الحضر وأساليب عيشهم دون الانتقال إلى المدن.

**المحاضرة الرابعة عشرة**

**مفاهيم:**

**-الترييف الحضري:**

هو منح المدينة صور الريف، بمعنى تصبح المدينة فضاء لإعادة إنتاج العلاقات والممارسات القروية والريفية. مثال: سريان قطعان الغنم في الشوارع، وتربيتها في الكاراجات، كذلك تربية الأرانب والدجاج في سطوح المنازل والعمارات. هذه الصور المادية تعيد إنتاج بالضرورة الممارسات والعادات الريفية داخل المدينة.

**-القرى النموذجية:**

ظهرت في الجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال، خلال المخططات التنموية وكانت تعبر عن قرى عصرية تتمتع بنفس الخدمات الموجودة في المدن(التعليم والصحة، الكهرباء والماء والمواصلات)، كان الغرض من تخطيطها في تلك المرحلة توقيف النزوح الريفي إلى المدن. وتساير النموذج الاشتراكي ومنه جاءت تسمية القرى الاشتراكية في عهد الرئيس هواري بومدين.

كما أن القرى النموذجية ينبغي أن تعطي صورة مثل المدينة من حيث النظافة، والمحافظة على البيئة، وتعلم التعامل مع المؤسسات.

**-المدن النموذجية:**

يرى ماكس فيبر،أن النموذج المثالي للمدينة يجب أن يتوفر على سوق وعلى ميدان، وتشريع وقوانين مستقلة جزئيا، وشكل متميز للاجتماع، وتتوفر على جهاز إداري منتخب يعبر السكان من خلاله على مشاركتهم. Castells,S ;1970, la question urbaine, Gallimard,p19.

**-المدن الذكية:**

مثل مدينة سيدي عبد الله التي تم تخطيطها على مساحة 700هكتار، تضم 05 بلديات من بينها زرالدة، 47000 وحدة سكنية بكل الصيغ، عماراتها من 5-9 طبقات، أحياؤها مساحاتها خضراء وتضم مرافق عامة قطب جامعي، قطب صحي، قطب صيدلي، مقاهي وفنادق، وفضاءات تجارية عديدة على شاكلة الفضاءات الموجودة في الدول المتقدمة من حيث نوعية الخدمات الراقية كخدمة التسوق والدفع.

غير أن خصوصية المدينة بالمقاييس الديمغرافية والجغرافية يحول دون فهم عملية التحضر كإشعاع المدينة عن القرية، إذ ليس من الضروري أن يؤدي انتشار الثقافة الحضرية إلى محو الفوارق الثقافية بين المدينة والقرية.

**حجم المدينة المثالية:**

في هذا العصر الذي يسوده التطور السريع في عدد السكان والعمران ووسائل النقل والمواصلات والطرقات، فإنه من المحتمل أن يكون الحجم الأمثل للبلدة الصغرى ما بين 30 ألف إلى 50 ألف نسمة، وقد كان هذا التصور من رأي المؤيدين للمدينة الحدائقية عام 1900، وكان هذا الحجم هو الأمثل للمدينة البريطانية الجديدة التي تم تخطيطها مند عقود خلت، ولكن في أيامنا هذه يعتبر صغير للغاية، حيث أن المدن الجديدة سوف تنمو بنحو 100 ألف نسمة، وقد تم تعديل هذا الرقم الأخير عام 1950 كهدف محدد للمدينة المثالية في التخطيط الهولندي، وذلك لإعادة تركيز الصناعات المختلفة، وتأخذ السويد بهذا الرقم كحجم مثالي للمدينة، بينما اختارت المدرستين الفرنسية والبلجيكية الرقم 200ألف كحجم للمدينة المثالية. **(علي سالم الشواورة، جغرافية المدن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2012، ص239.)**

**-المدن الكبرى في العصر الحديث:**

حسب الإحصاء الذي أجري عام 1900 كانت هناك 17 مدينة في العالم يزيد عدد سكانها عن 1مليون نسمة، هذه المدن تمت وتطورت بفضل تأثير الثورة الصناعية التي أدت إلى زيادة الكثافة السكانية في المدن، وبعد مرور قرن من الزمن لازالت هذه المدن تشكل العواصم السياسية والاقتصادية لبلدانها. وهذه البلدان هي: لندن، نيويورك باريس، برلين ، شيكاغو،فينا ، فيلادلفيا،ووهان، طوكيو، كلكوتا، سان بيترسبورغ، مانشستر، بوستون، بيرمينغهام، موسكو، بيجين، كلاسغو. (-إيف ميشو، ما المجتمع؟ جامعة كل المعرف، الجزء الثالث،717، المركز الفرنسي للثقافة والتعاون، 2005،ص229).

تجسد في نهاية القرن العشرين المدن الكبرى التي كانت بمثابة الخيال الذي ظل يطارد المجتمع الغربي مند القرن التاسع عشر. فقد قام العالم G.H.Wells عام 1906 بتحليل مستقبل أمريكا مستنتجا بدءا من نيويورك" نوعا من الصور الهزلية العملاقة للعالم الحاضر، بلغت ضخامته نسبا فائقة تجاوزت كل حد". كذلك وصف Fritz Lang مدينة لوس أنجلوس المدينة الصناعية الأوروبية عام 1927، في فيلمه" ميتروبوليس Metropolis لتؤكد أفكار وتخيلات مفجعة نجدها حتى في البطاقات البريدية. سكان المدن أولئك" الجائعون والمخدرون بتأثير المدن الكبرى." أيتها المدينة الكبرى ، مدينة- عنبر النوم، مدينة القمامة، الليل الدامس والضباب، والأنوار الاصطناعية، والوحشة القاتلة في دواخلنا، إننا نحلم في الواقع من منطلق حريات أخرى". زفي العاب الفيديو أصبحت طوكيو تبدو في الرسوم المتحركة وفي الألعاب التي تحمل اسم mangas نموذجا لمدينة عملاقة فقدت طابعها الإنساني يجسدها أحيانا وحش خطير يغط في النوم في باطن أرضها. (-إيف ميشو، ما المجتمع؟ جامعة كل المعرف، الجزء الثالث،717، المركز الفرنسي للثقافة والتعاون، 2005، ص225). طبعا كل هذا هو خيال سلبي تشكل في مجمل التصورات الاجتماعية للمدينة الكبيرة، وفرض نفسه مؤخرا تزامن مع تشكل انتشار المدن الكبرى، أي انتشار الشكل الحضري الحديث.

**-التواصل والتداخل بين الريف المدينة:**

الكثير من العلماء يؤكدون على صعوبة وضع الحدود بين الريف والمدينة خاصة في البلدان العربية. حيث نلاحظ أن هناك تواصل وتداخل بين الفضاءين، خاصة في الوقت الراهن، بسبب التطور التكنولوجي السريع الذي مس الريف وأيضا المدينة بسرعة متقاربة. حتى أننا لم نعد نستطيع التمييز بين ساكن الريف وساكن المدينة لا في المظهر ولا حتى في السلوك نظرا لهذا التأثر المشترك بوسائل التطور الحديثة.

كما أن التغير الذي نشاهده في العادات والتقاليد لسكان الريف يمكن أن يحدث بدون الانتقال إلى المدينة، لأن غزو الريف بالتقنيات شبيه بغزو المدينة.

كما أن الانتقال إلى المدن لا يؤدي بالضرورة إلى تغيير حتمي في قيم وتقاليد وعادات سكان الريف، لأنهم سوف يحافظون بتلقائية على هذه العادات حتى وهم قاطنون بالمدن، وتتجلى في مواقفهم وسلوكياتهم اليومية وفي تعاملاتهم. وقد تظهر مظاهر الصراعات القبلية والعشائرية بين سكان الأرياف المقيمين في المدن أثناء صراعاتهم ، سواء في الأحياء السكنية أو في مقرات عملهم. وهذه تعتبر صورة من صور ترييف المدن. فقد يكون الترييف مادي بمظاهر مادية أعمال وحرف(زراعة، تربية مواشي ودواجن)، وقد يكون أيضا معنوي كما يحدث في المواقف والصراعات والتصرفات والميولات الشخصية. ونظرا لصعوبة التمييز بين المتحضرين وغير المتحضرين في داخل المدينة الواحدة، أخذ علماء السكان معيار الإقامة في المدن لتمييز سكان المدن عن سكان الأرياف.

**-المقارنة بين الريف والمدينة-**

|  |  |
| --- | --- |
| **خصائص الحياة الريفية** | **خصائص الحياة الحضرية** |
| -التأكيد على الجماعات الأولية  -المعرفة الشخصية للفرد  -التجانس  -انخفاض معدل الحراك الاجتماعي  -التخصص وتقسيم العمل محدود  -الارتباط على أساس المحلية  -عدم توفر السلع والخدمات والتسهيلات  -تفاعل غير رسمي وعلاقات دافئة  -وضوح معالم البيئة الطبيعية  -الأسرة الأبوية الممتدة  -التأكيد على الدور الإنتاجي للأسرة  -وضوح الضوابط الاجتماعية غير الرسمية  -الزواج المبكر وارتفاع معدلات المواليد  -اتسام الخصية بالمحافظة  -القدرية  -الجماعية  -الاقتصاد وعدم الإسراف  -الشعور القوي بالروابط الاجتماعية التقليدية مثلا الأسرة | -التأكيد على الجماعات الثانوية  -الإبهام للفرد  -عدم التجانس  -ارتفاع معدل الحراك الاجتماعي  -التخصص وتقسيم العمل  -الارتباط على أساس المصالح  -توفر السلع والخدمات والتسهيلات  -التفاعل الرسمي والعلاقات الفاترة  - اختفاء معالم البيئة الطبيعية  -الأسرة الزواجية  -الوظيفة الإنتاجية للمؤسسات وليست للأسرة  -سيادة الضوابط الاجتماعية الرسمية  -تأخر سن الزواج وانخفاض معدل المواليد  -الشخصية غير المحافظة  -العلمانية  -النزعة الفردية  -الإسراف  -ضعف الشعور بالروابط الاجتماعية |

المرجع: مفهوم الريف والمدينة على الرابط: https : //mawdoo3.com/

**-أهم مقاييس التميز بين الريف والمدينة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| المقياس | الريف | المدينة |
| 1-الضبط الاجتماعي | العرف | القانون |
| 2-التفاعل الاجتماعي | العلاقات الأولية | الازدحام |
| 3-التمايز والتدرج الاجتماعي | الحسب والنسب الأرض والشرف | الفقير-الغني،الرئيس-المرؤوس،المثقف-الأمي |
| 4-التخصص | الفرد متعدد المهن والوظائف | الفرد متخصص في وظيفة واحدة(إداري، فنان، سائق، بناء. |
| 5-التجانس واللاتجانس | في إطار العائلة الكبيرة | تفكك العائلة، النزاع، الطلاق. |
| 6-التصنيف الإداري | قرية، ريف، بادية | بلدية،دائرة، ولاية شرطة، فنادق. |
| 7-البيئة | الهادئة | الضجيج، شوارع، مقاهي، مستشفيات، جامعات |
| 8-الإطار التاريخي(المعالم) | نادرة، مهجورة، منعدمة | الآثار، المواقع، الرواسب القديمة، المتاحف، المعالم. |
| 9-الكثافة السكانية | عدد محدود | أعداد كبيرة ومتفاوتة |
| 10-الجريمة | قليلة، الشرف، الأرض،(الثأر) | متنامية، متعددة الأشكال، باستخدام تكنولوجية راقية |
| 11-الخصال | الصبر، الكرم، الشجاعة، الجماعة، التعاون | الخفة، الفردانية، العقلانية، الحساب |

**(محمود عبد الحميد حسن وآخرون، 2012)**

يتم تدعيم هذه الفوارق بين الريف والمدينة بواسطة أمثلة واقعية من المجتمع الجزائري والمجتمعات العربية والأجنبية. وذلك حسب طبيعة العنصر المراد شرحه. وتتم أيضا بإقحام الطلبة في المناقشة وإعطاء الأمثلة.

**ــــــــــــــــــــ**

**بعض المراجع:**

- ابن خلدون ،المقدمة، بيروت: دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة ، 1982.

-عبد الحميد بوقصاصة، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري، مختبر التنمية والتحولات الكبرى في المجتمع الجزائري، جامعة عنابة، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، ب دون تاريخ.

-زوزو رشيد، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية في الجزائر في الفترة 1988-2008، أطروحة دكتوراه في علم اجتماع التنمية ، جامعة قسنطينة.

-رشيد غنيم، دراسات في علن الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2008.

-حمدان، جمال، جغرافيا المدن، ط2، القاهرة، عالم الكتب،د/ت.

-إياد جميل أحمد صالح، اتجاهات التكور العمراني في مدينة طوباس، دراسة في مورفولوجية المدينة، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، عمادة كلية الدراسات العليا، نابلس ، فلسطين، 2009.

-محمد أحمد غنيم، المدينة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1987.

- علي بوعناقة، المدينة الجزائرية وألفية الثالثة، في التواصل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 06، جامعة عنابة، 2000.

-مالك بن نبي، (1969) شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، لبنان.